المستظرف

من

أخبار الجوارى

للإمام

جلال الدين السيوطى

تحقيق

عبد الله المنشاوى

مكتبة الإيمان

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت . ٢٢٥٧٨٨٢

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

اسم المؤلف :

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان ابن ناظر الدين بن سيف الدين خضر بن نجم الدين بن أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد ابن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى .

ولد رحمه الله سنة ٨٤٩ هـ، وتوفى سنة ٩١١ هـ وعنده واحد وستين سنة ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن بالقاهرة .

نشأته وعلمه :

يقول : « نشأت يتيما ، فحفظت القرآن ولى دون الثمانية ، وشرعت فى الاشتغال بالعلم وأجزت بتدريس العربية فى مستهل سنة ست وستين ،

وقد ألفت فى هذه السنة ، فكان أول شىء ألفته : (شرح الاستعاذة والبسملة).

ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ،

والنحو، والمعانى ، والبيان ، والبديع على طريقة العرب البلغاء ، وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى فخراً . . . » .

شيوخ السيوطى :

فمن أبرز هؤلاء الشيوخ كمال الدين بن الهمام ، و جلال الدين المحلى، و شرف الدين المناوى، و تقى الدين، الحنفى .

أحمد بن إبراهيم بن نصر ، العسقلانى ، و محيى الدين الكافيجى العلامة، و عبد القادر أبى القاسم بن عبد المعطى الأنصارى السعدى العبادى، والشيخ سيف الدين الحنفى ، محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا .

أقوال العلماء فيه:

قال الشوكانى : «رفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ، ما لم يكن لأحد من معاصريه ، والعاقبة للمتقين »

وقال ابن العماد الحنبلى : « المسند المحقق المدقق ، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة» .

عملنا فى الكتاب:

١ - عمل مقدمة للكتاب وللمؤلف .

٢- مراجعة الكتاب مراجعة لغوية .

٣- شرح الكلمات الغامضة فى معناها من مصادرها اللغوية .

وأخيراً: اللهم اجعله خالصاً لوجهك وتقبله واغفر لى ولوالدى وللمسلمين يوم القيامة آمين .

تحقيق / عبد الله المنشاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . .

هذا جزء سميته «المستظرف من أخبار الجواري» .

(١)

إسحاق الأندلسية[1]

قال الحافظ محب الدين بن النجار في «تاريخ بغداد» :

جارية مولدة كانت للمتوكل فولدت له «المؤيد إبراهيم» و«الموفق أبا أحمد» . ماتت «ببغداد» في جمادى الآخرة سنة ٢٧٢ هـ.

وقال «أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم» يعزى ولدها «الموفق» :

عـزاء فـإن الدهر يعطى ويسلب ... وصـبـراً فللدنيـا صــروف تقلب
ومـا جـازع إلا كـآخـر صـابر ... إذا لم يكن عـما قضى الله مذهب
على أنه لا يملك القلب لوعة الـ ... ـفراق كـما لا تملك العين تسكب
إذا كـان سـهم الموت لابد صـائباً ... فللصـبـر أولى بالكريم وأصـوب

إلى أن قال :

لقـد أظلمت الدنيـا عند وفـاتهـا ... كإظلامها للشمس ساعة تغرب
فولت وولى الحمد يتبع نعشها ... ويصـدق من يثنى عليـهـا ويندب
وما مات من أبقى الأمير ومن له ... من الفضل ما يعزى إليها وينسب
تقـدمـهـا إياك بعـد بلوغـهـا المنى ... فـيك مـا كـانت من الله تطلب
فقد أعطيت في ذا وذلك سؤلها ... وباتت كـما بات الحيـا المتحلب
فـأحسن عزاء وابق فينا مسلماً ... مفدى من الأسواء ترجى وترهب

(١) راجع ترجمتها فى نساء الخلفاء(٨٢).

(٢)

بنان جارية المتوكل[١]

كانت شاعرة ، ذكرها «أبو الفرج الأصبهانى» وقال : أخبرنى «جعفر ابن قدامة» ، حدثنى «يحيى بن على المنجم» ، حدثنى «الفضل بن العباس الهاشمى» ، حدثتنى «بنان» الشاعرة قالت :

خرج «المتوكل» يوماً فمشى فى صحن[٢] القصر وهو متكئ على يدى ويد «فضل الشاعرة» ثم أنشد قول الشاعر :

تعلمت أسباب الرضى خوف هجرها   وعلمها حبى لها كيف تغضب

ثم قال : أجيزى هذا البيت ، فقالت «فضل» :

يصد وأدنو بالمروءة[٣] جاهداً   ويبعد عنى بالوصال وأقرب

فقلت :

وعندى لها العتبى على كل حالة   فما منه لى بد ولا عنه مذهب

(٣)

بدعة الكبيرة[٤]

جارية عريب مولاة المأمون

قال «ابن النجار» فى تاريخ بغداد» و«ابن الطراح»[٥] فى كتاب «النساء الشواعر» : ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب «الإماء الشواعر» : أنها كانت

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ١٤٨)

(٢) صحن : وسط القصر . كما فى القاموس .

(٣) وقيل بالمودة .

(٤) انظر : ترجمتها فى الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٠٦) وأعلام النساء (١/ ١٢١ ، ١٢٢) .

(٥) هو فخر الدين بن مظفر بن الطراح ، كان شاعراً عاش ما يقرب من ستين سنة : انظر ترجمته فى الأعلام (٤/ ٢٥٦)

أحسن دهرها وجهاً وغناءً، وكانت تقول شعراً ليناً يستحسن من مثلها .

* * *

وذكر «ثابت بن سنان» أن «إسحاق بن أيوب الغالبى »، بذل فيها «العريب مولاتها مئة ألف دينار على يد «أبى الحسن على بن يحيى بن المنجم» ولسفارته فى ذلك عشرين ألف دينار ، فلما خاطب «على بن يحيى» «عريباً» فى ذلك دعت «بدعة» وعرفتها إياه ، وسألتها هل تختار البيع ؟ فعرفتها أنها لا تختاره ، فردت المال وأعتقتها من وقتها .

وقال «أبو الفرج الأصبهانى»:

حدثنى عرفة وكيل «بدعة» قال : لما قدم المعتضد من الشام دخلت إليه «بدعة» فقال لها : يا بدعة! أما ترين الشيب قد اشتغل فى لحيتى ورأسى ؟ فقالت : ياسيدى ! عمرك الله حتى ترى ولد ولدك قد شابوا ، فأنت والله فى الشيب أحسن من القمر .

وفكرت طويلاً حتى قالت هذه الأبيات وغنت بها :

ما ضرك الشيب شيئاً ... بل زدت فيه جمالا
قد هذبتك الليالى ... وزدت فيه كمالا
فعش لنا فى سرور ... وأنعم بعيشك بالا
تزيد فى كل يوم ... وليلة إقبالا
في نعمة وسرورٍ ... ودولة تتعالى

فوصلها فى ذلك اليوم صلة سنية .

* * *

وقالت فيه أيضاً :

إن تكن شـبت يا مليك البـرايا ... لأمـور عـانيتـهـا وخطوب(١)
فلقـد زادك المشـيب جـمـالا ... والمشيب البادى كمال الأديب
فابق أضعاف ما مضى لك فى عز ... وملك وخفض عيش وطيب

ماتت لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاث مئة .

و من شعر «بدعة» ما كتبت به إلى «إسحاق بن أيوب الغالبى» أورده «أبو الفرج الأصبهانى» فى كتاب «الإماء الشواعر» :

كيف أصبحت سيدى وأميرى ... عشت فى ظل نعمة وحبور(٢)
علم الله كيف كان اغتباطى ... ونعيمى وبهجتى وسرورى
بلقاء الأمير لا عدمت نفسى ... وعـينى لقـاءه من أمـيـر

قال : فكتب إليها فى الجواب :

أنا فى نعـمـة بقـربك تفـديك ... حيـاتى من مفظعـات الأمور
بلغت مـهـجـتى بقـربك منى ... أملى كله ، وتم ســـرورى
وصل الله بيننا ذاك مـا عـشـ ... ـنا وأبقـاك لى بقـاء الدهور

* * *

(١) خطوب : جمع ومفردها خَطْبٌ وهو الشأن والأمر صغر أو عظم كما فى القاموس .
(٢) حبور : جمع مفردها حبر : وهو أثر النعمة والحسن كما فى القاموس .

وقال «ابن الرومى»[1] فى بدعة «هذه»:

بدعة عندى كاسمها بدعه ... لا شك فى ذلك ولا خدعه
كأنما رقة مسموعها ... رقة شكوى سبقت دمعه
تحسن فى البدء ولكنما ... أحسن من بدأتها الرجعه
كأنما غنت لشمس الضحى ... فألبستها حسنها خلعه
غنت فلم تحوج إلى زامر ... هل تحوج الشمس إلى شمعه

(٤)

بنفشا الرومية[2] مولاة المستضىء بالله

كانت صالحة كثيرة الخير.

قال «ابن النجار»:

سمعت أنها كانت في عيد الفطر كل سنة تخرج زكاة الفطر صاعاً من تمر، ثم تقول: هذا ما فرضه علي الشرع، وأنا لا أقنع من مثلى بذلك.

فتخرج صاعاً من الذهب العين تأمر بتفرقته على الفقراء.

ماتت يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول سنة ٥٩٨هـ.

* * *

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٢/ ١٨٨) وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٣-٢٦).
(٢) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ١٤٩).

(٥)

تيماء[١]

جارية أبى العباس بن خازم النهشلى

قال «ابن الطراح»: شاعرها محسنة من مولدات المدينة.

ذكرها «أبو الفرج الأصبهانى» في كتاب «الإماء الشواعر».

وروى بسنده عن «محمد بن سعيد الخطيب» أنها كتبت إلى مولاها، وقد خرج إلى الشام:

تفـديك تيـمـاء من سـوء تحـاذره ... فأنت مهجتها [١] والسمع والبصر
لئن رحلت لقد أبقيت لى حزناً ... لم يبق لى مــعــه فى لذة وطر
فهل تذكر [illegible]ى فى المغيب كما ... قـد شـفنى الهم والأحـزان والفكر

* * *

وقالت ترثى سيدها:

إن أبا العباس خـدن[٣] العلى ... خـزيمة اليـأس فـتى الجـود
والمتلف المخلف رب الندى ... أودى[٤] فـمـا جـود بموجـود
لئن حـواه القـبـر مـيـتـاً فقـد ... تضـيق عنه سـعـة البيـد
كــأنه لم يغن يومــاً ولم ... يعـد على الشم الصناديد
ولم يغل الخطب فى مــأزق ... ضنك بقلب غـيـر مـزءود
كم فـرقت آراؤه جـحـفـلا ... وبـددته أى تبــــديـد

---

(١) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ١٨٠، ١٨١).
(٢) وقيل: بهجتها. انظر أعلام النساء. نفس الموضع السابق.
(٣) الخدن: بالكسر: الصاحب ومن يخادنك فى كل أمر ظاهر وباطن. كما فى القاموس.
(٤) أودى: هلك. كما فى القاموس.

(٦)
تريف [١] جارية المأمون

قال «ابن الطراح» :

كانت من مولدات البصرة بارعة الحسن والجمال ، بديعة الظرف ، موصوفة بالكمال ، وكانت تقول الشعر ، فوصفت «للمأمون» فاشتراها ، فوقعت بقلبه وأنزلها فى منزلة «عريب» و«مؤنسة» ، وقدمها على سائر حظاياه .

ولما مات «المأمون» وفت له وقصرت نفسها على البكاء عليه ، واشتد جزعها وأقبلت ترثيه وتنوح عليه وتبكيه حتى ماتت .

ومن شعرها فى ذلك :

ياملكاً لست بناسيه	نعى [إلىّ] [٢] العيش ناعيه
والله ما كنت أرى أننى	أقوم فى الباكين أبكيه
والله لو يقبل فيه الفدا	لكنت بالمهجة أفديه
عاذلتى فى جذعى أقصرى	قد غلق الرهن بما فيه

وقالت :

إن الزمان سقانا من مرارته	بعد الحلاوة أنفاسا فأروانا
أبدى لنا تارة منه فأضحكنا	ثم انثنى تارة أخرى فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال لنا	من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها	مالا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها كأنا لا نزايلها	للعيش أحياؤنا يتلوه موتانا

* * *

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ١٧٢) .
(٢) وقيل : لأن .

(٧)

ثواب[1]

روى «ابن الطراح» عن «ابن الجوزى» قال: أخبرنا «ابن الجواليقى» قال: كانت بالمدينة شاعرة يقال لها «ثواب»، وكانت تهوى مملوكاً رومياً لمولاها «زهرا» فظهر عليهما، فخاف «زهر» فانقطع عنها، فكتب إليه من شعرها:

ولما أبى العذال إلا فراقنا ... ومالهم عندى وعندك من ثار
وسد على أبصارنا كل منظر ... وقلت حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى ... ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

***

(٨)

حسناء[2] جارية يحيى بن خالد البرمكى

قال «الزجاجى» في «أماليه»:

أخبرنا «أبو بكر محمد بن الحسن»[3] أنا «أبو حاتم» عن «الأصمعى» قال:

دخل بعض الشعراء على «يحيى بن خالد البرمكى» وبين يديه جارية يقال لها «حسناء» وكانت شاعرة ظريفة، فقال: اعبث بها. فأنشأ يقول:

(١) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ١٨٥).
(٢) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء: (١/ ٢٦٢).
(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى توفى ببغداد سنة ٣٢١ هـ. انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (٢/ ١٩٥-١٩٧).

حسناء يا حسناء حتى متى يرتفع الناس وأنحط
قد صرت نضواً[1] فى فراش الهوى كأننى من فوقه خط

فقالت حسناء :

وكيف منجاى وقد حف بى بحر هوى ليس له شط
يدركك الوصل فتنجو به أو يقع الهجر فتنحط

(٩)

حبش مولاة الأحنف

قال «ابن النجار» :

روى عنها «أبو بكر المبارك بن كامل الخفاف» فى كتاب «سلوة الأحزان» أنها أنشدته :

ساروا بقلبى وأودعوا شجناً أهل المطايا وأوحشوا الوطنا
يا دار فيك الحبيب أم ظعنا[2] أين الذى فيك كان لى سكنا
أجابت الدار وهى باكية واحربا صرت للظبا وطنا
ناديت حاديهم[3] وقد رحل الركب أقيما وأعقلا البدنا[4]
أجابنى والدموع جارية من ذا قتيل الفراق ؟ قلت : أنا

---

(١) النضو : بالكسر : حديدة اللجام والمهزول من الإبل وغيرها كما فى القاموس .
(٢) ظعن : سار كما فى القاموس .
(٣) الحدو : سوق الإبل . كما فى القاموس .
(٤) البدن : جمع البدنة : وهى الناقة أو البقرة .

(١٠)

حُسْن(١) جارية الإمام أحمد بن حنبل

اشتراها بعد زوجته أم عبد الله ، وولدت منه خمسة أولاد : زينب ، والحسن ، والحسين ، ومحمد ، وسعيد . وروت عن مولاها مسائل كثيرة .

* * *

قال «أبو بكر الخلال»(٢) : أنبأنا «محمد بن على» قال : سمعت «حُسْن» أم ولد «أبى عبد الله» تقول : جاءتنى امرأة من جيراننا فقالت : قد جمعت مالاً من الغلف ، تعنى أنها ماشطة ، وأريد أن أحج . فقال «أبو عبدالله» : لا يحج به ، ليس هاهنا أحل من الغزل .

* * *

(١) انظر ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ٢٥٨) .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال البغدادى من فقهاء الحنابلة له ترجمة فى تاريخ بغداد (٥/ ١١٢) وشذرات الذهب (٢/ ٢٦١) .

(١١)

خزامى[١] جارية المقين

قال «أسامة بن مرشد بن منقذ»[٢] فى «أخبار النساء» :

كانت شاعرة ظريفة كتب إليها «عبد الله بن المعتز»[٣] :

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبة ... فقد سمجت[٤] من بعد توبتك الخمر
فأهديت وردا كى يذكر عيشة ... لمن لم يمتعنا ببهجتها الدهر

فأجابته بهذه الأبيات :

أتانى قريض يا أميرى محبَّر ... حكى لى نظم الدر فصل بالشذر[٥]
أأنكرت يا ابن الأكرمين إنابتى ... وقد أفصحت لى ألسن الدهر بالزجر
وأدبنى شرخ الشباب ببينه ... فياليت شعرى بعد ذلك ما عذرى

(١٢)

خليدة السوداء[٦]

فتاة «ابن شماس» المكية ، فيها يقول الشاعر :

فتنت كاتب الأمير رياحاً ... يالقومى خليدة المكية

* * *

أخذت الغناء عن «ابن سريج ومعبد ومالك» . بعث إليها «محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أبا عون» مولاه يخطبها عليها ، فدخل

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ٣٥٠) .
(٢) انظر : ترجمته فى الأعلام (١/ ٢٩١) .
(٣) له ترجمة فى تاريخ بغداد (١٠/ ٩٥-١٠١) وشذرات الذهب (٢/ ٢٢١-٢٢٤) .
(٤) سمج : قبح والسميج : اللبن الدسم ، الخبيث الطعم . كما فى القاموس .
(٥) الشذر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة أو خرز يفصل بها النظم أو هو اللؤلؤ الصغار . كما فى القاموس
(٦) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ٣٥٦) .

وعليها ثياب رقاق لا تسترها . فنهضت وقالت : إنما ظننتك بعض سفهائنا ، ولكن ألبس إليك ثياب مثلك . ففعلت . قالت : ما حاجتك ؟ فقال : أرسلنى إليك مولاى ، وهو من تعلمين ، يخطبك.

فقالت : قد نسبته فأبلغت ، فاسمع : حسبى أن أبى بيع على غير عقد الإسلام ولا عهده ، فعاش عبداً ومات وفى رجله قيد على الإباق والسرقة ، ولدتنى أمى منه على غير رشده ، وماتت وهى آبقة ، أنا من تعلم . فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً أو زناً صراحاً فهلم إلينا ، فنحن له.

فقال لها : إنه لا يدخل فى الحرام.

فقالت : ولا ينبغى أن يستحى من الحلال. وأما نكاح السر فلا والله لا فعلته أبداً ولا كنت عاراً على القيان (1) .

فعاد «أبو عون» فأخبر مولاه بذلك ، فقال : ويلك أتزوجها معلناً وعندى بنت «طلحة بن عبيد الله» (2) ؟ لا ، ولكن ارجع إليها وقل لها : تختلف إلىّ لأردد بصرى فيها ، لعلي أسلو.

فعاد إليها وأبلغها الرسالة ، فضحكت ، وقالت : أما هذا فنعم ، لسنا نمنعه منه.

(1) القيان جمع ومفردها قيْن والمقصود البنات كما فى القاموس .
(2) وهو صحابى مشهور من العشرة المبشرين بالجنة

(١٣)

خنساء[١] جارية هشام النحوى

فى «الأغانى» عن «أبى هريرة البصرى» قال: كان «أبو الشبل» يعابث قينة كانت «لهشام النحوى الضرير» يقال لها «خنساء»، وكانت تقول الشعر فقالت له يوماً: أنا والله أشعر منك، ولئن شئت لأهجونك، فأقبل عليها فقال:

خنساء قد أفرطت علينا ... فليس منها لنا مجير
باهت بأشعارها علينا ... كأنما (...) جرير

(١٤)

الخيزران الجرشية[٢]

مولاة «المهدى» وحبيبته، وأم ولديه «موسى الهادى» و«هارون الرشيد»[٣].

رزقت من سعادة الدنيا مالا يوصف، كان مغلها فى السنة مئتى ألف وستين ألفاً. وفيها يقول:

ياخيزران هناك ثم هناك ... أمسى يسوس العالمين ابناك

وإياها عنى «بشار بن برد» فى قوله:

خليفة يزنى بعماته ... يلعب بالدبوق الصولجان[٤]
أبدلنا الله به غيره ... ودس موسى فى حر الخيزران

---

(١) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ٣٧٢، ٣٧٣).
(٢) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (١/ ٣٩٥ - ٤٠١).
(٣) وهو الخليفة المشهور. انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء ص ٢٨٣ - ٢٩٧.
(٤) الدابوق: غراء يصاد به الطير. والصولجان: بفتح الصاد: المحجن كما فى القاموس.

(١٥)

دستان

في تاريخ «الصلاح الصفدى»:

استعرض «عبد الرحمن بن عيسى» الكاتب يوماً جارية اسمها «دستان» فسامها صاحبها خمس مئة دينار، لم يكن عنده ثمنها فقال:

يا صاحبي صبا قلبي لدستان ... لغادة وجهها والبدر سيّان
مادونها قصر يدمى أستها ... إلا المصاليت من أبناء قحطان
من كان يملك ملء الكيس من ذهب ... زفت إليه وكيسى غير ملآن
أشكو إلى الله أنى ليس ينفعنى ... علم الخليل ولا نحو ابن سعدان
فى إست أم علمى وآدابى وفلسفتى ... ولو أحطت بعلم الإنس والجان

فوقعت هذه الأبيات إلى «بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف»[1] العجلى أمير «همذان» فوقع تحتها:

يا من شطا وصبا وجداً بدستان ... لو عف طرفك لم يرجع بأحزان
وليس يجزى لعمرى النحو ذا كلف ... ولا العروض ولا أشعار حسان
وقد أمرنا بما ينفى الصدود وما ... يدنى النجاح بما يهوى الشجيان
فصر إلى غانم حتى يوفرها ... وابشر بجائزة أخرى لدستان

ثم وقع إلي «غانم» الوكيل بإخراج خمس مئة دينار إلى عبد الرحمن لثمن دستان وبعشرة أثواب لها.

* * *

(١) هو بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف وهو الذى أسس سلطانا مستقلا فى «الكرج» مات مسموما سنة ٢٨٥هـ راجع ترجمته فى الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٧، ٤٨١).

(١٦)

دُقَاقُ[1]

جارية يحيى بن ربيع

كانت جميلة مغنية محسنة مشهورة بالظرف والمجون.

قال «ابن حمدون» :

كتبت إلي أبي تصف هنها[2] له صفة أعجزه الجواب عنها ، فأحضر من كتب إليها وصف متاعه فقطعها.

وقد سقته في كتاب «نواضر الأيك».

ولما مات «يحيى» تزوجت بعده بجماعة من القواد الكتاب ، فماتوا فقال بعضهم يهجوها :

قلت لما رأيت دار دقــــاق ... حسنها قد أضر بالعشاق
حذروا الرابع الشقي دقاقا ... لا يكونن نجمه في محاق
أله عن بضعها فإن دقاقا ... شؤم حرها قد سار في الآفاق
لم تضاجع بعلا فهب سليما ... بل جريحاً وجرحه غير راقي

* * *

---

(١) انظر : ترجمتها في أعلام النساء(١/ ٤١٣).
(٢) الهن : فرج المرأة ويصغر هُنَيّا.

(١٧)

ذلفاء[1]

جارية ابن طرخان

دخل عليها «أبو نواس» و«مروان بن أبى حفصة» ، فقال مولاها لمروان : يا أبا السمط ألق عليها بيتاً تجيزه . فقال : تجيز قول «جرير» :

غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقالت : وكانت تشبب «بالرشيد» :

قد هجت بالبيت الذى أنشدتنى حبا بقلبي لا يزال دفينا

فقام «أبو نواس» عند ذلك وأنشد :

عجيب من حماقة الذلفاء تشتهى فياشل الخلفاء

قال «ابن أبى فنن» : فأجزت أنا قول «أبى نواس» :

لو تشهيت غيره كان أولى من أيور الدناة والضعفاء
إن أولى الأمور عندى منالاً شهوات الأكفاء للأكفاء

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (١/٤٢٧)

(١٨)

دنانير(١)

جارية يحيى بن خالد البرمكى

كانت لرجل من أهل المدينة أدبها وخرجها ، وكانت أروى الناس للغناء القديم وللشعر ، وكانت صفراء صادقة الملاحة من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأحسنهن أدباً ، ولها كتاب مجرد فى الأغانى مشهور .

أخذت عن «فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق » ونظرائهم ، ولما رآها «يحيى» أخذت بقلبه فاشتراها ، وكانت تأتى «الرشيد » فيسمعها ، واشتد إعجابه بها ، ووهب لها هبات سنية ، منها أنه وهبها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار فرد عليه فى مصادرة البرامكة ، وأصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة ، وكان «يحيى » يتصدق عنها في كل يوم من «شهر رمضان » بألف دينار ، لأنها كانت لا تصومه .

وفيها يقول «أبو حفص إسحاق الشطرنجى »:

أشبهك المسك وأشبهته ... فى كونه قائمة قاعده
لا شك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحده

* * *

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء(١/ ٤١٥، ٤١٦).

وفيها يقول «عقيل الموصلى»:

هذى دنانيـر تنسـانى فـأذكـرهـا ... وكيف تنسى محبـاً ليس ينسـاها
أعـوذ بالله من هجـران جـارية ... أصبحت من حبها أهذى بذكراها
قد أكمل الحسن فى تركيب صورتها ... فـارتج أسـفلهـا واهتـز أعـلاها
قـامت تمشى فليت الله صـيـرنى ... ذاك التراب الذى مسته رجلاها
والله والله لـو كـانت إذا برزت ... نفس المتيم فى كـفـيـه ألقـاها

ودعا «الرشيد» بها بعد مقتل البرامكة وأمرها أن تغنى .

فقالت : يا أمير المؤمنين إنى آليت أن لا أغنى بعد سيدى أبدا ، فغضب وأمر بصفعها ، فصفعت وأقيمت على رجلها ، وأعطيت العود فأخذته وهى تبكى أحر البكاء واندفعت فغنت :

يادار سلمى بسـارح السند ... بين الدنايا ومسـقط اللبـد
لما رأيت الديار قـد درست ... أيقنت أن النعـيم لـم يعـد .

فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها فانصرفت .

* * *

ثم إن «عقيداً» مولى «صالح بن الرشيد» خطبها ، فردته ، فاستشفع بمولاه وغيره ، وكتب إليها شعراً يستعطفها :

يا دنانيـر قـد تنكر عـقـلى ... وتحـيـرت بين وعـد ومطل
شـفعى شـافعـاً إليك وإلا ... فاقتلينى إن كنت تهوين قتلى
أنا بالله والأمـيـر ومـا آ ... مل من معـد الحسين وبذل

فلم تجب وأقامت على الوفاء لمولاها إلى أن ماتت .

(١٩)

زرقاء[1] جارية ابن رامين

اشتراها فيما بعد «جعفر بن سليمان» بثمانين ألف درهم فعاتبه أبوه، فأخرجها له ، فأكبت على رأسه فقبلته ودعت له ، وكانت عاقلة مقبولة متكلمة ، فأعجبه ما رأى منها فلم يعد يعاتبه .

* * *

قال «سليمان الخشاب» :

رأيتها وهى عند «ابن رامين» وصيفة شال نهودها ثوبها عن صدرها، وغنت مرة بحضرة «معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع» . فبعث «معن» إليها بدرة فصبها بين يديها ، وبعث «روح» إليها أخرى فصبها ، وبعث «ابن المقفع» ، فجاء بصك ضيعته فأعطاها .

* * *

وسألها «جعفر» يوماً : هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة؟ قالت : لا والله ، إلا «يزيد بن عون الصيرفى» فإنه قبلنى قبلة وقذف في فمى لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم . فضربه بالسياط حتى مات .

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء : (٢/ ٣١).

(٢٠)

زمرد التركية[١]

أم الخليفة الناصر

لها مدارس وربط وأوقاف . ماتت سنة ٥٩٩ هـ.

(٢١)

سـامر[٢]

قال «ياقوت» فى «معجم الأدباء» :

كان «إبراهيم بن العباس الصولى» يهوى جارية لبعض المغنين «بسر من رأى» يقال لها «سامر» شُهر بها ثم ملها . وكانت شاعرة ، وكانت تهواه أيضاً فكتبت إليه تعاتبه :

بالله يا ناقض العهود بمن ... بعدك من أهل ودنا نثق
وآسوأتا ما استجبت لى أبدا ... إن ذكر العاشقون من عشقوا
لا غرنى كاتب له أدب ... ولا ظريف مهذب لبق
كنت بذاك اللسان محتلمى ... دهراً ولم أدر أنه ملق

فعاد إليها واعتذر[٣].

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٢/ ٣٩).
(٢) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٢/ ١٤٤).
(٣) معجم الأدباء (١/ ٢٦٠- ٢٧٧).

(٢٢)

سكن[١]

جارية محمود الوراق

قال «ابن المعتز»:

حدثني «محمد بن إبراهيم بن ميمون» قال: لما أراد «محمود» بيعها رفعت إلى «المعتصم» قصة تسأله أن يشتريها. فلما نظر في قصتها خرقها رمى بها، لأنه كان أراد مرة ابتياعها فأبت فقالت «سكن» في ذلك:

ما للرسول أتاني منك باليأس ... أحدثت بعد وداد جفوة القاسي
فهبك ألزمتني ذنباً بظلمك لي ... ماذا دعاك إلى تخريق قرطاسي
يا متبع الظلم ظلماً كيف شئت فكن ... عندي رضاك على العينين والراس
إني أحبك حباً لا لفاحشة ... والحب ليس به في الله من باس
قل للمشارك في اللذات صاحبها ... ومدمن الكاس تحييها مع الكاس
إن الإمام إذا أرفا إلى بلد ... رقى إليه لعمران وإيناس
أما ترى الغيث قد جاءت أوائله ... والعود نضر الذرا مستورق كاسي
وأصبحت «سر من را» دار مملكة ... قطينها بين أنهار وأغراسي
يا غارس الآس والورد الجني بها ... غرس الإمام خلاف الورد والآس
غراسه كل عات لا خلاق له ... عبل الذراع شديد الباس قنعاس[٢]
كبابك[٣] وأخيه إذ سما لهما ... بياتر للشوى في الجيد خلاس
فذاك بالجسر نصب للعيون وذا ... «بسر من را» على سامي الذرا راسي
وهكذا لم يزل في الدهر نعرفه ... غرس الخلائف من أولاد عباس
شقا عصا الدين واغتدا بجهلهما ... بعصبة شهرت في الحرب بالباس
وحاولا القدح في حق الإمام ودو ... ن الملك قد علما أساد أخياس

(١) راجع ترجمتها في أعلام النساء (٢/ ٢٠٠).

(٢) العبل: الضخم من كل شيء، والقنعاس: الرجل الشديد. كما في القاموس.

(٣) بابك: رجل مجوسي كان يؤمن بعقيدة تناسخ الأرواح وأن الرجل يمكن أن ينكح أمه أو أخته قتله الخليفة المعتصم سنة ٢٢٢ هـ.

فى ظل معتقد للحق معتصم ... بالله ، للأسد غلاب وفراس
ودونه غصص يشجى العدو بها ... مثل المبارك أفشين وأشناس[1]
أما ترى بابكاً في الجو منتصباً ... على ململمة من صنعة الفاس
بين السماء وبين الأرض منزله ... وقائماً قاعداً جسماً بلا راس

(٢٣)

شارية[2] المغنية

مولدة من مولدات «البصرة» ، اشتراها «إسحاق الموصلى» بثلاث مائة دينار ثم اشتراها منه «إبراهيم بن المهدى» بذلك ، ثم اشتراها «المعتصم» بخمسة آلاف د...

* * *

(٢٤)

شجاع[3] أم الخليفة المتوكل

كانت صالحة ، ماتت بعد مقتل ابنها في ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ، صلى عليها ابن ابنها «المنتصر» .

* * *

---

(١) الأفشين : حيدر بن كاوس أحد الأبطال الشجعان فى عهد الخليفة المأمون وأخيه المعتصم والذى الذى أخمد فتنة بابك للجوسى ، وأشناس التركى من القادة فى عهد الخليفة المعتصم.

(٢) راجع ترجمتها في أعلام النساء (٢/ ٢٨٠ - ٢٨٣) .

(٣) راجع ترجمتها فى شذرات الذهب (٢/ ١١٧) وأعلام النساء (٢/ ٢٨٦) .

(٢٥)

شجر الدر(١)

جارية الملك «الصالح نجم الدين أيوب».

كانت بارعة الجمال ، ذات رأى وعقل . تسلطنت «بمصر» وخطب لها على المنابر ، فكان يقال بعد الدعاء للخليفة : واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين ، نعمة الدنيا والدين ، أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح .

وزر لها «الصاحب بهاء الدين بن حنا» .

وكانت تعلم على المناشير : والدة الخليل .

ونقش اسمها على الدرهم والدينار . فأرسل الخليفة «المستعصم» من «بغداد» يقول لأمراء مصر : إن كان ما بقى عندكم رجل فأرسلوا عرفونا نرسل لكم رجلاً . فخلعت بعد ثلاثة أشهر ، وأقيم زوجها «المعز أيبك» ، ثم غارت منه فقتلته ، فقتلها مماليكه سنة ٦٥٥ هـ.

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٢/٢٨٦ - ٢٩٠).

(٢٦)

ضعيفة[1]

جارية مغنية ، اشتراها «سليمان ابن الخليفة المنصور» بخمسة آلاف دينار، فأخذها منه أخوه «المهدى» فتبعتها نفسه أكثر فيها من الأشعار ، واشتهر أمره في شأنها ، ومن شعره فيها:

رب إليك المشتكى ... ماذا لقيت من الخليفه
يسع البرية عدله ... ويضيق عنى فى ضعيفه
علق الفؤاد بحبها ... كالحبر يعلق فى الصحيفه
لى قصة فى أخذها ... وخديعتى عنها ظريفه

(٢٧)

طاوس

أم الخليفة[2] المستنجد

كانت دينة صالحة لها بر ومعروف . ماتت سنة ٥٦٥ هـ.

(١) راجع ترجمتها فى أعلام النساء (٢/ ٣٥٩).
(٢) راجع ترجمتها فى زعلام النساء (٢/ ٣٦٥).

(٢٨)

عريب المأمونية[1]

قال «ابن النجار»:

قيل: إنها ابنة «جعفر البرمكي» ، لما نكبت البرامكة سرقت وهي صغيرة ، فاشتراها «الأمين» ، ثم اشتراها «المأمون» ، وكانت شاعرة مجيدة ومغنية محسنة ، ولغنائها ديان مفرد.

* * *

قال «إسحاق» :

ما رأيت امرأة قط أحسن وجهاً وأدباً وغناء وضرباً وشعراً ولعباً بالشطرنج من «عريب» ، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة من امرأة إلا وجدتها فيها.

ومن شعرها:

لا غرني بعدك إنسان ... فقد بدت لي منك ألوان
وإن تغيرت فما حيلتي ... مالي على قلبك سلطان

* * *

وقال «أبو الفرج الأصبهاني»:

أخبرني «جعفر بن قدامة» قال : حدثني «عبد الله بن المعتز» قال : وقعت إليّ رقاع «العريب» فيها مكاتبات منثورة ومنظومة ، فقرأت رقعة منها إلى «المأمون» وقد خرج إلى «فم الصلح» لزفاف «بوران»[2] :

---

(١) انظر : ترجمتها في أعلام النساء (٣/ ٢٦١ - ٢٦٨).

(٢) وهي بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون.

أنعم تخطتك صـروف الردى بقـرب بوران مـدى الدهر
درة خـدر لم يزل نجـمـهـا بنجم مأمون العلى يجرى
حتى استقر الملك في حجرها بورك في ذلك من حـجـر

ولدت سنة ١٨١ هـ ، وماتت «بسر من رأى» في ربيع الآخـر سنة ٢٧٧هـ.

* * *

(٢٩)

عنان[1]

جارية النطافى

قال «ابن النجار» :

كانت شاعرة ظريفة لها أخبار مدونة .

* * *

وقال «أبو الفرج الأصبهانى» :

كانت من مولدات «اليمامة» ، وبها نشأت وتأدبت ، وكانت صفراء جملية الوجه حلوة ، مليحة الأدب والشعر ، سريعة البديهة .

كانت أول من اشتهر بقول الشعر فى الدولة العباسية ، وأفضل من عرف من طبقتها . وكان فحول الشعراء يعارضونها فتنتصف منهم[2] .

* * *

قال «أحمد بن معاوية» :

قال لى رجل : تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدى أن أجد من يجيزه فلم أجد ، فقال لى صديق : عليك بعنان جارية «النطافى» ، فأتيتها فأنشدتها :

وما زال يشكو الحب حتى رأيته   تنفس من أحشائه وتكلما

فلم تلبث أن قالت :

ويبكى فأبكى رحمة لبكائه   إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما[1]

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٣/ ٣٦٩ - ٣٧٢) .
(٢) الأغانى (٢٣/ ٨٥)

وقال «مروان بن أبي حفصة»:

لقيني «النطافي» فدعاني إلى «عنان» فانطلقت معه ، فدخل إليها قبلي، وقال لها: قد جئتك بأشعر الناس «مروان بن أبي حفصة» ، فوجدها عليلة ، فقالت له: إني عنه لمشغولة . فأهوى إليها بسوط وضربها به، وقال لي : ادخل ، فدخلت وهي تبكي ، فرأيت الدمع من عينيها ، فقلت:

بكت عنان فجرير[2] دمعها   كالدر إذ يستن من خيطه

فقالت مسرعة:

فليت من يضربها ظالماً   تيبس يمناه على سوطه

فقلت: أعتق مروان كل ما يملك إن كان في الجن أو الإنس أشعر منك[3]

* * *

ودخل يوماً «أبو نواس» عليها وهي تبكي ، [وخدها على رزة من مصراع الباب] وكان «النطافي» ضربها . فأومأ «النطافي» إلى «أبي نواس» أن يحركها بشيء فقال:

عنان لو جدت لي فإني من   عمري بما آمن الرسول بما

يعني في آخر عمره لأن ﴿آمن الرسول﴾[4] آخر آية في البقرة.

فردت عليه «عنان»:

فإن تمادى ولا تماديت في   قطعك حبلي أكن كمن ختما

(1) الأغاني (٢٣/ ٨٧).
(2) وقيل : فجرى . انظر الأغاني (٢٣/ ٨٦).
(3) الرواية في الأغاني (٢٣/ ٨٦).
(4) البقرة : ٢٨٥).

فرد عليها أبو نواس فقال :

علقت من لو أتى على أنفـ ـس الماضين والغابرين ماندما

فقالت مسرعة :

لو نظرت عينها إلى حجر ولّد فيه فتورها سقما[1]

* * *

واجتمع بها «أبو نواس» يوماً فجعلت تطلب عثراته وتؤذيه ، فتجشأ فى وجهها فقالت :

يانواسى يانفاية خلق الله قد نلت بى سماء وفخراً
مت إذا شئت قد ذكرتك في الشعر وجرُّ أذيال ثوبك كبرا
رب ذى ضلة تنسم لقطك سلحاً ونال عزا وشرا
ونديم قد سقاك كأساً من الخمر فأفضلت في الزجاجة جعرا[2]
وإذا ما بدهتنى فاتق الله وعلق دونى على فيك سترا
وإذا ما أردت أن تحمد الله على ما أبلى وأولاك شكرا
فليكن ذاك بالضمير وبالإيماء لا تذكرن ربك جهرا
لا تسبح فما عليك جناح جعل الله بين لحييك دبرا
أنت تفسو إذا نطقت ومن سبح بالفسو نال[3] إثماً ووزرا
إن تأملته فبومة حش وإذا ما تيممته كان صقرا

* * *

(١) الأغانى (٢٣/ ٨٨) .

(٢) الجعرة : بالضم : أثر يبقى منه . كما فى القاموس.

(٣) الفسو يقال : فسا وفسوا وفساءً : أخرج ريحا من مفساه بلا صوت، والفسو : لقب حى من عبد القيس . كما فى القاموس.

واجتمع بها يوماً فقال:

عنان يامنيــــتى ويا سكنى　　　أما ترينى أجول فى سككك
ملكتنى اليــوم يا مــعــذبتى　　　فصيرينى الغداة من فككك
وعـجلى ذاك وارحـمى قلقى　　　وأثبتى لى البـراء فى صككك

فقالت «عنان»:

لم يبق فيـمـا قد قلت قـافية　　　يقـول لها قائل سوى عككك
بلى وإن قــالهــا فــتى فطن　　　يقولها في قريض ذى تككك

فقال «أبو نواس»:

بلى فإن شـئت قلت فـيشلة　　　تسكن لها الهائجات من حككك

ودخل عليها يوماً فأنشد:

إن لى أيراً خـبـيـثـاً　　　عـــارم الرأس فلوتا
لو رأى فى الجو صدعاً　　　لنزا حـــتى يموتا
أو رآه فــوق ســقف　　　صـاد فـيـه عنكبـوتا
أو رآه جــوف بحـــر　　　خلته فى البحر حوتا

قال: فما لبث أن قالت:

زوجـــوا هذا بألف　　　مـا أظن الألف قـوتا
إننى أخـــشى عليـــه　　　إن تمـادى أن يموتـا
بادروا مـــا حل بالمســ　　　ـكين خوفـاً أن يفوتا
قـــبل أن ينتكس الدا　　　ء فـلا يأتى ويوتى[1]

* * *

(١) الأغانى (٢٣/ ٨٥).

وقال «الجماز» :

ألقى «أبو نواس» على «عنان جارية النطافى» بيت شعر ، وهو :

كل يوم بأقحوان جـديـد تضحـك الأرض عن بكاء السماء

فأجابته على المكان :

فهى كالوشى من ثياب يمان جلبتـها التجـار مـن صنـعاء

فى «الأغانى» :

عن «أبى جعفر النخعى» قال : كان «العباس بن الأحنف» يهوى جارية «النطافى» فجاءنى يوماً فقال : امض بنا إلى «عنان» فصرنا إليها ، فرأيتها كالمهاجرة له فجلسنا قليلاً ، ثم ابتدأ فقال :

قـال عبـاس وقـد أجـ ـهد من وجد شـديد
ليس لى صبر على الهجـ ـر ولا لذع الصـدود
لا ولا يصـبـر للهـجـ ـر فـؤاد من حـديد

فقالت «عنان» :

من تـراه كـان أغنى منك عن هذا الصدود
بعـد وصل لك منى فيـه إرغام الحسود
فـاتخذ للهـجـر إن شئـ ـت فـؤاداً من حـديد
مـا رأيناك على مـا كنت تجنى بجليـد

فقال «عباس» :

لـو تجـودين لصب راح ذا وجـد شـديد
وأخى جـهل بما قـد كـان يجنى بالصـدود
ليس من أحـدث هجـراً لصـديق بسـديد
ليس منه المـوت إن لـم تصليـه ببـعـيـد

قال : فقلت للعباس : ويحك ! ما هذا الأمر ؟ قال : أنا جنيت على نفسي بتتايهي عليها . فلم أبرح حتى ترضيتها عليه[1] .

وقال في «الأغاني» :

قرأت في بعض الكتب : دخل بعض الشعراء على «عنان» ، فقال لها «النطافي» : عابثيه ، فقالت :

سقيا لبغداد لا أرى بلداً   يسكنه الساكنون يشبهها

فقال :

كأنها فضة مموهة   أخلص تمويهها مموهها

فقالت :

أمن وخفض فما كبهجتها   أرغد أرض عيشاً وأرفهها

فانقطع[2]

* * *

قال «الصلاح الصفدي» :

أما بيتا «عنان» ، فإنهما منتظما المعنى ، وأما بيت الشاعر فإنه أجنبي منهما .

* * *

وذكر صاحب «الأغاني» :

أن «الرشيد» طلب من «النطافي» جاريته ، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فقال : أعطيك مائة ألف دينار علي أن تأخذ الدينار سبعة دراهم ،

---

(١) الأغاني (٢٣/ ٩٣).   (٢) الأغاني (٢٣/ ٨٧)

فامتنع عليه، وأمر أن تحمل إليه ، فذكروا أنها دخلت مجلسه ، فجلست في هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك! إن هذا قد اعتاص عليّ في أمرك ، فقالت : ما يمنعك أن توفيه وترضيه ؟ فقال : ليس يقنع بما أعطيه ، وأمرها بالانصراف .

فبلغني أن «الناطفي» تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه ، فلم تزل في قلب «الرشيد» حتى مات مولاها .

فلما مات بعث «مسروراً» الخادم ، فأخرجها إلى «باب الكرخ» فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدي قد جللها ، فنودي عليها : من يزيد بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كبد رطبة ، على الرجل دين، فأشاروا ببيعها .

قال : فبلغني أنها كانت تقول – وهي في المصطبة – أهان الله من أهانني وأذل من أذلني ، فلكزها «مسرور» بيده ، وبلغ بها «مسرور» مائتي ألف درهم ، فجاء رجل وقال : عليّ زيادة خمسة وعشرون ألفا ، فلكزه «مسرور» وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ؟ ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفاً . وحملها إلى «خراسان» .

قال : ولم يكن فيها شيء يعاب ، فطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها العين ، فأوقعوا بخنصر رجلها في ظفره شيئاً[1] .

وقال «الأصمعي» :

بعثت إلى «أم جعفر» أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر «عنان» ، فإن صرفته عنها فلك حكمك .

---

(١) الأغاني (٢٣/ ٩١).

قال : فكنت أتوقع أن أجد للقول موضعاً فلا أجده ولا أقدم عليه هيبة له . إذ دخلت يوماً فرأيت فى جهه أثر الغضب ، فانخزلت ، فقال : مالك يا أصمعى ؟ قلت : رأيت فى جه أمير المؤمنين أثر غضب ، فلعن الله من أغضبه ، فقال : هذا «النطافى» والله لولا أنى لم أجر فى حكم قط متعمداً لجعلت على كل جبل منه قطعة ، استعصى على ومالى فى جاريته أرب غير الشعر .

فذكرت رسالة «أم جعفر» فقلت : أجل والله ما فيها غير الشعر ، أفيسر أمير المؤمنين أن يجامع «الفرزدق» ؟ فضحك حتى استلقى .

واتصل قولى «بأم جعفر» فأجزلت لى الجائزة[1].

* * *

وأرسلت إلي «أبى نواس» فى أمرها فقال يهجوها :

إن عنان النطاف جارية   أصبح حرها (. . .) ميدانا
ما يشتريها إلا ابن زانية   أو قلطبان[2] يكون من كانا

فبلغ «الرشيد» شعره فقال : أخزى الله «أبا نواس» وقبحه فلقد أفسد على لذتى بما قال فيها ، ومنعنى من شرائها .

فبلغ الخبر «عنان» فقالت فى «أبى نواس» :

عجباً من حلقى يدعي أصل اللواط
فإذا صار إلى بيت وخشف عن تواط
فالذي يحضر يرى من يلى وجه البساط[3]

(١) الأغانى : (٢٣/٨٩).
(٢) القلطبان : الديوث الذى لا يغار   (٣) الأغانى : (٢٣/٩٣).

ومن شعرها ترثى مولاها «النطافى» أورده «أبو الفرج الأصبهانى»:

نفسى على حسراتها موقوفة ... فوددت لو خرجت مع الحسرات
لو فى يدى حساب أيامى إذن ... لصرفتهن تعجلا لوفاتى
لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكى مخافة أن تطول حياتى

* * *

قال «أبو الفرج»:

ذكر «محمد بن القاسم بن مهدويه» أن «عنانا» خرجت إلى «مصر» حين أعتقت وماتت هناك.

(٣٠)

غادر[1]

جارية موسى الهادى

كانت بارعة الجمال، فبينا هى تغنيه يوماً عرض له فكرة فتغير لونه، فسأله ممن حضر عن ذلك فقال: وقع فى خاطرى أننى أموت، ويتزج أخى «هارون» هذه «غادر».

ثم إنه أمر بإحضار أخيه «هارون» واستحلفه بأيمان مغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشياً أنه لا يتزجها بعده، وحلفها كذلك.

وما لبث أقل من شهر حتى مات.

فأرسل إليها «هارون» يخطبها، فقالت له: فكيف بيمينى ويمينك؟

(١) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (٤/٣).

فقال : أكفر عن الكل. فتزوجته ، وزاد حبه لها على أخيه حتى أنها كانت تنام فتضع رأسها في حجره فلا يتحرك حتى تنتبه .

فبينا هى ذات يوم نائمة رأسها على ركبته ، انتبهت فزعة تبكى . فقال لها : ما الذى بك ؟ قالت : رأيت أخاك «موسى» الساعة وهو يقول :

أخلفت وعـدى بعـدمـا ... جـاورت سكان المقـابر
ونسـيـتنى وحنثت فى ... أيمانك الكذب الفـواجـر
ونكحت عـامـدة أخى ... صـدق الذى سمـاك غـادر
لا يهنك الإلف الجـديـ ... ـد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصباح ... وصرت حيث غدوت صائر

ولم تزل تبكى وتضطرب ، وهو يقول لها : أضغاث أحلام ، حتى ماتت بين يديه . فدفنها ونغصت عليه عيشه .

وكانت وفاتها سنة ثلاث وسبعين ومائة .

(٣١)

فريدة الكبرى[1]

كانت مولدة نشأت «بالحجاز» ، ثم وقعت إلى «الربيع» ، فتعلمت الغناء ثم صارت إلى «البرامكة» فلما قتل «جعفر» صارت إلى «الأمين» ، فلما قتل تزوجت «الهيثم بن سالم» فولدت له ابنه «عبدالله» ، ثم مات عنها ، فتزوجها «السندى بن الحرشى» ، وماتت عنده .

وكان لها صنعة جيدة فى الغناء .

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٤/ ١٦١).

(٣٢)

فريدة الصغرى[1]

جارية «الواثق» كانت «لعمرو بن بانة المغنى» وأهدأها «للواثق».

وكانت من الموصوفات المحسنات.

* * *

قال «محمد بن الحارث»:

طلبنى «الواثق» يوماً، فسرت إليه وأدخلت إلى دار الحرم، وإلى جانبه «فريدة» وفى حجرها عود تغنى.

فبينا أنا كذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر «فريدة» ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض، وتفتت عودها، ومرت تعدو وتصيح. فقلت له: ما السبب في ذلك؟ فقال: فكرت أن «جعفراً»، يعني أخاه «المتوكل» يقعد هذا المقعد، وتقعد معه «فريدة» كما قعدت معى، فلم أطق الصبر، فأمر بإحضارها وعانقها، وبكى، وبكت وبكيت أنا

ثم تفرقنا. وضرب الدهر ضرباته، ومات «الواثق» وولى «المتوكل» فإنى لفى يوم إذ طلبنى، فدخلت إلى تلك الدار بعينها والحجرة بعينها، وإذا «المتوكل» قاعد على سرير «الواثق» «وفريدة» إلى جانبه[2].

---

(١) انظر: ترجمتها فى أعلام النساء (٤/ ١٦٤ - ١٦٨)

(٢) تجريد الأغانى ص٥٠٥ - ٥٠٨.

(٣٣)

فضل[1]

الشاعرة اليمامية جارية المتوكل

قال «ابن النجار» :

كانت شاعرة ماجنة من أظرف أهل زمانها ، ولها أخبار ملاح مدونة .

* * *

قال «أبو الفرج الأصبهانى» :

كانت مولدة ، ولدت «باليمامة» ، ونشأت «بالبصرة» ، وكانت سمراء أدبية فصيحة ، سريعة الهاجس[3]، مطبوعة فى الشعر ، أحسن خلق الله خطا ، وأفصحه كلاماً ، وأبلغه مخاطبة ، وأثبته فى محاورة .

وكانت تجلس فى مجلس «المتوكل» على كرسى تعارض الشعراء ، فألقى عليها «أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى» :

قالوا: عشقت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطى إلى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت «فضل» مجيبة له :

إن المطية لا يلذ ركوبها ... حتى تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أربابه ... حتى يلف بالنظام ويثقب[4]

وروى «أبو الفرج» عن «أبى العيناء» قال :

لما دخلت «فضل» على «المتوكل» يوم أهديت إليه قال لها :

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٤/ ١٧١ - ١٧٦).
(٢) الماجن : الذى لا يبالى قولا وفعلا كأنه صلب الوجه . كما فى القاموس .
(٣) يقال : هجس الشيء فى صدره يهجس : خطر بباله أو هو أن يحدث نفسه فى صدره مثل الوسواس . كما فى القاموس .
(٤) الأبيات فى الأغانى (١٩/ ٣٠١).

أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا يزعم من باعنى واشترانى . فضحك، وقال: أنشدينا شيئا من شعرك . فأنشدته :

استقبل الملك إمام الهدى　　عام ثلاث وثلاثينا

[تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سنى الهجرة].

خلافة أفضت إلى جعفر　　وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنا لنرجو يا إمام الهدى　　أن تملك الملك ثمانينا
لا قدس الله امرءاً لم يقل　　عند دعائى لك : آمينا

فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم ، وأمر «عريب» فغنت فيها [1].

* * *

وعن «أبى العباس المروزى» قال : قال «المتوكل» «لعلى بن الجهم» :

قل بيتاً ، وقل «لفضل الشاعرة» تجيزه . . فقال «على» أجيزى يا «فضل»:

لاذ بها يشتكى إليها　　فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت ، ثم قالت:

ولم يزل ضارعاً إليها　　تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه ، فزاد عشقاً　　فمات جداً فكان ماذا؟

فطرب « المتوكل » ، وقال : أحسنت وحياتى « يافضل » ، وأمر لها

---

(١) الأبيات فى الأغانى(١٩/ ٣٠٢).

بمائتى دينار ، وأمر « عريب » فغنت فى الأبيات[1] .

وعن « سعيد بن حميد »[2] قال :

قلت «لفضل الشاعرة» أجيزى :

من لمحب أحب فى صغره؟

فقالت :

فصار أحدوثة على كبره

فقلت :

من نظر شفه وأرقه

فقالت :

فكان مبدا هواه من نظره

لولا الأمانى لمات من كمد ... مر الليالى يزيد فى فكره
ليس له مسعد يساعده ... بالليل فى طوله وفى قصره

قال «سعيد بن حميد» :

والله لو أخذ أفاضل الكتاب وكبراؤهم وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك[3] .

* * *

وقال «محمد بن داود بن الجراح» الكاتب فى كتاب «الورقة» فى أخبار الشعراء المحدثين :

---

(١) الأغانى : (١٩/ ٣١٢، ٣١٣).

(٢) هو سعيد بن حميد بن سعيد فارسى الأصل وكان كاتبا شاعراً مسترسلا من أهل النباهة فى بغداد له غزل فى فضل وبينهما مكاتبات شعرية . له ترجمة فى مروج الذهب (٤/ ٦١).

(٣) الأغانى (١٨/ ١٥٥) وما بعدها.

«فضل الشاعرة» أشعر امرأة كانت فى هذا العصر.

* * *

ومن قولها فى الصحو:

قـد بدا شبـهك يا مـولا ... ى يحـــدو بالـظلام
فـانتبــه نقض لبـانا ... ت اعـتناق والتـشـام
قـبل أن تفـضـحنا عـو ... دة أرواح النيـــام[1]

* * *

ومن شعرها:

لأكتمن الذى فى القلب من غصص[2] ... حتى أموت ولم يشعر بى الناس
ولا يقـال شكا من كـان يعـشـقـه ... إن الشكاة لمن تهـوى هى اليـاس
ولا أبوح بشىء كنت أكـتـمـه ... عند الجليس إذا ما دارت الكاس[3]

* * *

ومن شعرها:

الصبـر ينقص والبلاء يزيد ... والدار دانيـة وأنت بعـيـد
أشكوك أم أشكو إليك فـإنه ... لا يستطيع سواهما المجهود[4]

ماتت سنة ٢٥٧ هـ

قال «أسامة بن مرشد» فى أخبار النساء»:

كتبت «فضل الشاعرة» إلى «سعيد بن حميد» فإن قطعت عنا عادة البر

(١) الأغانى: (١٩/ ٣٠٧).
(٢) الغصة: بالضم: الشجا وما اعترض فى الحلق. كما فى القاموس.
(٣) الأبيات فى الأغانى (١٠/ ٢١٥). (٤) الأغانى (١٩/ ٣٠٣).

تمسكنا بعادتنا فى الشكر، وحملنا الذنب على الدهر ، وإن تكن الأخرى فلم نعد الظن ولم تأت بديعا من الأمر .

* * *

قال : بلغ« فضل الشاعرة» وكانت تهوى « سعيد بن حميد » أنه قد عشق جارية من جوارى القيان فكتبت إليه :

يا عـالي السن سـيئ الأدب	شـبت وأنت الغـلام في الطرب
ويحك إن القيـان كـالشـرك الـ	ـمنصـوب بين الغـرور والعطب
لا يتـصـدين للفـقـيـر ولا	يطـلبن إلا مـعـادن الـذهب
بينا تشكي هواك إذ عـدلت	عن زفـرات الشكى إلى الطلب
تـلـحـظ هـذا وذا وذاك وذا	لحظ مـحب بعين مكتـسب[1]

* * *

وجمع «فضل الشاعرة» و«سعيد بن حميد» مجلس ، وكل منهما محب صاحبه فطمح نظرها إلى بعض الحاضرين وأقبلت عليه ، فعتب عليها سعيد ولامها ، فكتبت إليه في المجلس :

يا من أطلت تفـرسي	في وجـهـه وتنفـسي
الويل من مـتـدلل	يزهو بقـتل الأنفس
هبني أسأت ومـا أسأ	ت بلي كـإقـرار المسي
أحلفـتني أن لا أسـا	رق نظرة في مـجلسي
فنظرت نظرة مـخطئ	أتبـعـتـهـا بتـفـرسي
ونسـيت أني قـد حلفـ	ـت فما عقوبة من نسي

(١) الأغانى : (١٨/١٦٦).

فقام سعيد فقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه، بل نحتمل هفوته ونتجاوز عن إساءته[1].

* * *

(٣٤)

قاسم[2]

جارية ابن طرخان

قال «أسامة بن مرشد» في كتاب «أخبار النساء»:

دخل «العباس بن الأحنف» على «قاسم جارية ابن طرخان» وكانت شاعرة، فقال لها: أجيزي هذا البيت:

أهدي له أحبابه أترجة ... فبكي، وأشفق من عيافة زاجر

فقالت وأسرعت:

متطيراً منها أتته وطعمها ... لونان باطنه خلاف الظاهر

* * *

(١) الأغاني: (١٨/ ١٦٧).

(٢) انظر: ترجمتها في أعلام النساء (٤/ ١٨٣).

(٣٥)

قبيحة الرومية [١]

جارية المتوكل ،أم المعتز بالله

كانت عاقلة فاضلة ، ولما قتل ولدها «المعتز» أخذت أموالها ونعمتها ، وخرجت إلى «مكة» فأقامت بها مدة ، ثم عادت إلى «سامرا» ، وكانت مكينة عند «المتوكل» ، ولها معه وقائع ، منها :

أنه افتصد يوماً ، فأهدت إليه جارية معها جام فيه مكتوب :

قطعت عرقا تبتغي صحة ألبسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الجام يا سيدي مستمتعا من هذه الجاريه
واجعل لمن أهداكها حصة تحظي بها في الليلة الآتيه

* * *

وقال «المتوكل» فيها :

إنسانة كالشمس مجدولة [٢] أحسبها ليست من الإنس
مليحة الشكل غلامية أحسن من بدر ومن شمس

توفيت «بسر من رأي» في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين .

* * *

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٤/ ١٨٤ - ١٨٧) .

(٢) مجدولة : لطيفة . كما فى القاموس .

(٣٦)

قرة العين (١)

وتدعي «أرجوان» مولاة الأمير «أبو العباس ابن الإمام القادر»، وأم ولده الخليفة «المقتدي» .

أدركت خلافة ولدها ، وتوفي وهي في الحياة ، ورأت ولده «المسترشد» خليفة ، ثم رأت «للمسترشد» عدة من الأولاد .

وعاشت حتى رأت البطن الرابع من أولادها . وكانت صالحة كثيرة البر والمعروف ، وحجت مراراً ، وبنت «بمكة» رباطاً وآثارا حسنة ، وبنت «ببغداد» رباطاً ، وتوفيت سنة أثنتي عشرة وخمس مائة .

* * *

(٣٧)

قرة العين المعتصمية (٢)

قال «ابن النجار» :

روى عنها القاضي «أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة» أنها أنشدته :

انظر إليّ بعين الصفح عن زللي ... لا تتركني من أمرى على وجل
روحي وروحك مقرونان في قرن ... فكيف أهجر من في هجره أجلي

* * *

(١) انظر : ترجمتها فى الكامل لابن الأثير (١٠/ ٨٥).
(٢) لها ترجمة فى أعلام النساء (٣/ ٢٠٤).

(٣٨)

قلم الصالحية (١)

كانت جارية مولدة صفراء حلوة ، حسنة الغناء والضرب ، حاذقة أخذت عن «إبراهيم» وابنه «إسحاق» و «يحيي المكي» ، وكانت «لصالح بن عبد الوهاب» كاتب «صالح بن الرشيد» اشتراها .

سمع «الواثق» لحنا لها ، فسأل عن ذلك فقيل له : هو «لقلم الصالحية» ، فكتب إلى «ابن الزيات» بإشخاص «صالح» وجاريته ، فأشخصهما ، فغنت بين يديه ، فأعجبته ، فاشتراها منه بعشرة آلاف دينار . فقبضها واشترى بها ضيعة ، ولزم بيته ، واستغنى عن خدمة السلطان .

* * *

(١) راجع : ترجمتها في أعلام النساء (٤/٢١٨)

(٣٩)
مارية [1] جارية الرشيد

في «تاريخ الصلاح الصفدي»:

طلب «يحيى بن خالد البرمكي» «العباس بن الأحنف» يوماً فقال له:

إن «مارية» هي الغالبة على أمير المؤمنين، وإنه جرى بينهما عتب، فهي بعزة دالة المعشوق تأبي أن تعتذر، وهو بعزة الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك، وقد رمت الأمر وهو أجدى أن تستغزه الصبابة فقل شعراً تسهل به عليه هذه القضية، وأعطاه دواة وقرطاساً، وطلبه «الرشيد» فتوجه إليه، ونظم «العباس بن الأحنف» قوله:

العاشقان كلاهما متغضب ... وكلاهما مستوجد متجنب
صدت مغاضبة وصد مغاضباً ... وكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحبتك الذين هجرتهم ... إن المتيم قلما يتجنب
إن التجنب إن تطاول منكما ... دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لأحد الرسل: أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات، فإن كان فيها مقنع وجهت بها، فعاد الرسول وقال: هاتها، ففي أقل منها مقنع. فكتب الأبيات وكتب تحتها أيضاً:

لابد للعاشق من وقفة ... تكون بين الوصل والصرم
حتى إذا الهجر تمادى به ... راجع من يهوى على رغم

فدفع الرقعة «يحيى» إلى «الرشيد»، فقال: والله ما رأيت أشبه بما نحن

(١) انظر: ترجمتها في أعلام النساء (٥/ ٤، ٥).

فيه من هذا الشعر ، والله لكأني قصدت به .

فقال «يحيى» : والله يا أمير المؤمنين أنت المقصود به .

فقال «الرشيد» :

يا غلام هات نعلي ، فإني والله أراجعها على رغم . فنهض ، وأنهضه السرور أن يأمر «للعباس» بشيء .

ثم إن «مارية » لما علمت بمجيء «الرشيد» إليها قامت فتلقته ، وقالت : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

فأعطاها الشعر ، وقال : هذا الذي جاء بي إليك .

قالت : فمن قاله ؟

قال : العباس بن الأحنف .

قالت : فبم كوفىء ؟

قال : ما فعلت بعد شيئاً .

فقالت : والله لا أجلس حتى يستوفي .

فأمر له بمال كثير ، وأمرت هي له بدون ذلك ، وأمر له «يحيى» بدون ما أمرت ، وحمل على برذون .

ثم قال له الوزير «يحيى» :

من تمام النعمة أن لا تخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة . فاشتري له ضياعاً بجملة من ذلك المال ودفع له بقية المال [1] .

(١) القصة فى الأغانى (٥/ ٣٨) والشعر والشعراء(٨٣١) .

(٤٠)

متيم الهاشمية [١]

ذكرها «الأصبهاني» في «الأغاني» ، وقال :

كانت صفراء مولدة من مولدات «البصرة» ، وبها نشأت وتأدبت وغنت ، وأخذت عن «إسحاق» وعن أبيه قبله وعن طبقتهما ، فاشتراها «علي ابن هشام» بعد ذلك وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكانت تقول الشعر ليس مما يستجاد ، ولكنه مستحسن من قبلها .

* * *

قال صاحب «الأغاني» :

أول من عقد النساء في طرف الإزار زناراً أو خيط إبريسم ، ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول «متيم» .

قال : ويقال أنه لم . . . . . [٢] من «إسحاق» بعد «إسحاق» أصنع بغناء من «علوية وعبد الله بن العباس ومتيم» [٣] .

* * *

قال «ابن المعتز» :

حُدِّثتُ أن «المأمون» كان سأل «علي بن هشام» أن يهب له «متيما» . وكان بغنائها يعجب ، فدافعه عن ذلك إلى أن حبلت ويئس «المأمون» منها . ويقال إن ذلك أول ما أضغنه عليه .

* * *

(١) انظر ترجمتها في أعلام النساء (٥/ ٢١-٢٣) .
(٢) هكذا بياض في الأصل .
(٣) الأغاني (٧/ ٣٠٢) .

وقال بعضهم:

مات «إبراهيم بن المهدي ومتيم وبذل[1]» في أيام يسيرة قليلة العدد، فقال بعض المتندرين: يا بابي في الجنة عرس، قد ذهبوا بهؤلاء المغنين المحسنين إليه.

* * *

وقيل إن جارية «للمعتصم» قالت هذا فنهاها عن هذا الكلام، فلما كان بعد أيام وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه فدخلت على «المعتصم» باكية، وقالت: يا سيدي احترق كل ما أملك.

فقال: لا تجزعي فإنه قد استعاره أصحاب ذلك العرس.

* * *

(١) مغنية فى العصر العباسى. راجع ترجمتها فى الأغانى (١٧/ ٧٥-٨٠).

(٤١)

محبوبة [1]

جارية المتوكل

قال «أبو الفرج الأصبهاني» :

كانت مولدة من مولدات «البصرة» ، شاعرة سريعة مطبوعة ، مغنية متقدمة في الحالين على طبقتها ، وكانت حسنة الوجه حسناء الغناء ، ملكها «المتوكل» وهي بكر ، أهداها إليه «عبيد الله بن طاهر» في جملة أربع مائة جارية ، فتقدمتهن جميعاً عنده ، فلما قتل تسلاه جميع جواريه غيرها ، فإنها لم تزل حزينة هاجرة لكل لذة حتى ماتت . ولها فيه مراث كثيرة [2] .

***

قال «علي بن الجهم» :

كنت يوماً بحضرة «المتوكل» ، إذ دفع إلى «محبوبة» تفاحة مغلفة بغالية ، فقبلتها وانصرفت عن حضرته ، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة فدفعتها إلى «المتوكل» فقرأها وضحك ، ثم رمي بالرقعة إلينا فإذا فيها :

يا طيب تفاحة خلوت بها	تشعل نار الهوى على كبدي
أبكي إليها واشتكي دنفي [3]	وما ألاقي من شدة الكمد
لو أن تفاحة بكت لبكت	من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنت لا تعلمين ما لقيت	نفسي فمصداق ذاك في جسدي
فإن تأملته علمت بأن	ليس لخلق عليه من جلد

قال : فما أحد إلا استرفها واستملح الأبيات [4] .

وقال علي بن يحيى المنجم» :

قال «المتوكل» «لعلي بن الجهم» : إني دخلت إلى «قبيحة» الساعة

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء (٥/ ٢٥ - ٢٧).

(٢) الأغانى (٢٢/ ٢٠٠)

(٣) الدنف : المرض الملازم . كما فى القاموس.

(٤) الأغانى : (٢٢/ ٢٠١).

فوجدتها قد كتبت اسمي على خدها بغالية ، فوالله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد ، فقل في هذا شيئاً .

قال : وكانت «محبوبة» جالسة من وراء الستارة تسمع الكلام ، فإلى أن دعى «لعلي» بالدواة والدرج وأخذ يفكر . قالت على البديهة :

وكاتبة بالمسك على الخد جعفرا   بنفسي مخط المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخد سطراً بكفها   لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا
فيا من لمملوك لملك يمينه   مطيع له فيما أسر وأظهرا
ويا من مناها في السريرة جعفر   سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

قال : وبقى «على بن الجهم» واجماً لا ينطق بحرف . وأمر «المتوكل» بالأبيات فبعث بها إلى «عريب» وأمر أن تغنى فيها . قال على بن يحيى» : قال«على بن الجهم» بعد ذلك : تحيرت والله ، وتقلبت خواطرى ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله[1] .

وقال «على بن الجهم» :

غضب «المتوكل» على «محبوبة» ، فجئته يوماً ، فحدثنى أنه رأى فى النوم أنها صالحته ، ودعا بخادم فقال : اذهب فاعرف لى خبرها وأى شيء تصنع ، فرجع فأعلمه أنها جالسة تغنى . فقال لي : أما ترى إلى هذه تغنى وأنا عليها غضبان ؟ ثم قال لي : قم معى حتى نسمع بأى شيء تغنى ، فقمنا حتى انتهينا إلى حجرتها ، فإذا هى تغني :

أدور في القصر لا أري أحداً   أشكو إليه ولا يكلمني
حتي كأني ركبت معصية   ليست لها توبة تخلصني
فهل لنا شافع إلي ملك   قد زارني في الكري فصالحني
حتي إذا ما الصباح لاح لنا   عاد إلي هجره فصرمني

(١) الأغانى (١٩/ ٢١٠، ٣١١) (٢٢/ ٢٠٠).

قال : فطرب «المتوكل» فأحست به ، فخرجت إليه وأعلمته أنها رأته فى النوم وقد جاءها فصالحها ، فقالت هذا الشعر وغنت فيه[1] .

***

وقال «على بن يحيى المنجم» :

إن جوارى المنزل تفرقن بعد موته ، فصار إلى «وصيف» عدة منهن فيهن «محبوبة» ، فاصطلح يوماً وأمر بإحضارهن ، فحضرن وعليهن الثياب الفاخرة الملونة وقد تزين وتعطرن ، سوى «محبوبة» ، مرهاء[2] متسلبة[3] ، عليها ثياب بياض غير فاخرة . فغنى الجوارى وطرب .

ثم قال لمحبوبة غنى ، فأخذت العود وغنت وهى تبكى :

أي عـــيش يطيب لي … لا أري فيـه جـعـفـرا
ملكا قــد رأته عــيـ … ـني قـتـيـلا مـعـفـرا
كل من كـان ذا سـقـا … م وحـزن فـقـد برا
غـيـر مـحـبـوبة التي … لو تري الموت يشـتـري
لاشـتـرته بما حـوته … يدهـا لتـقـبـرا
إن مـوت الحـزين أطيب … مـن أن يعـمـرا

فاشتد ذلك على «وصيف» وهم بقتلها ، فاستوهبها منه «بُغا» ، وكان حاضرا . فوهبها له ، فأعتقها وأمرها بأن تقيم حيث أحبت ، فخرجت إلى «بغداد» فأقامت بها وأخملت نفسها حتى ماتت[4] .

***

(١) الأغانى :(٢٢/ ٢٠٢، ٢٠٣).
(٢) يقال : مرهت عينه : خلت من الكحل أو فسدت لتركه أو ابيضت حماليقها والنعت : أمره ومرهاء . كما فى القاموس.
(٣)تسلبت، يقال : تسلبت المرأة أى أحدت على زوجها . كما فى القاموس.
(٤) الأغانى (٢٢/ ٢٠١، ٢٠٢).

ممنعة

قال «أسامة بن مرشد» فى «أخبار النساء»:

قال «يزيد بن حوراء»: كنت أجلس «بالمدينة» على أبواب قريش، فكانت تمر بى جارية تختلف إلى «الزرقاء» تتعلم منها الغناء. فقلت لها:

افهمى قولى وردى جوابى.

فقالت: هات ما عندك.

فقلت: ما اسمك؟

قالت: «ممنعة»، فأطرقت وملكتنى الحيرة من اسمها، ثم قلت:

ليهنك مني أنني لست مغشياً هواك إلي غيري ولو مت من كربي
ولا مانحاً خلقاً سواك محبةً ولا قائلاً ما عشت من حبكم حبي

قال: فنظرت إلىّ طويلاً، ثم قالت: أنشدك الله أعن فرط محبة أم عن غلمة.

فقلت: لا والله، إلا عن فرط محبة. فقالت:

فوالله رب الناس لا خنتك الهوي ولا زلت مخصبوص المحبة من قلبي
وثق بي فإني قد وثقت ولا تكن علي غير ما أظهرت لي يا أخا حبي

قال: فوالله لكأنما أضرمت ناراً فى قلبى. فكانت تلقانى فى الطريق فتحدثنى فأنفرح بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهراً طويلاً.

(٤٣)

مونسة [١]

جارية المأمون

سمع صوتاً فى بعض مقاصيره فقال للخادم: انظر ما هذا ؟

فذهب ورجع فقال: «مؤنسة» تضرب، و«ماجنة» ترقص. فجاء «المأمون» فسمعها تقول:

ألا يا قصر كم تحوي ... من (...) ومن غلمه
متي يرقع طيان[٢] ... ضعيف متي ثلمه

فدخل عليها فجامعها. وقال: ما كفاك أن جعلتنى طيانا حتى جعلتنى ضعيفاً.

فقالت: لولا ذاك ماأكملت هذا الرغيف على جوعى.

***

(٤٤)

نبت [٣]

جارية المعتمد على الله

قال «أبو الفرج الأصبهاني»:

كانت مغنية حسنة الغناء، شاعرة سريعة الهاجس[٤]، عرضت على «المعتمد» فامتحنها فى الغناء والكتابة، فرضى بما ظهر له من أمرها، ثم قال «لابن حمدون»: قارضها، فقال:

وهبت نفسى للهوى

---

(١) راجع: ترجمتها فى أعلام النساء (٥/ ١٢٩).

(٢) الطيان: الجائع.

(٣) راجع: ترجمتها فى أعلام النساء (٥/ ١٦٢). (٤) تقدم تعريفها.

فقالت غير متوقفة :

فجار لما أن ملك

فقال :

فصرت عبداً خالصاً

فقالت :

يسلك بى حيث سلك

فأمر «المعتمد» بشرائها ، فاشتريت بثلاثين ألف درهم .

***

وقال أحمد بن أبى طاهر» :

دخلت يوماً على «نبت» فقلت لها : قد قلت مصراعاً فأجيزيه

فقالت : قل ، فقلت :

يا نبت حسنك يغشي بهجة القمر

فقالت :

قد كاد حسنك أن يبتزنى بصري

فتوقفت أفكر ، فسبقتنى فقالت :

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت ريا الرياض عليه في دجي السحر

فزادت فكرتى فقلت :

فهل لنا فيك حظ من مواصلة أو لا فإني راض منك بالنظر

***

(٤٥)

نسيم [1]

جارية أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح

قالت ترثي مولاها:

لو أن ميتاً هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب
ولو أن حياً قبله صانه الردي ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب
نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا
وللوري موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتان

***

(٤٦)

هيلانة [2]

جارية الرشيد

كان شديد الحب لها، ولما ماتت وجد عليها وجداً شديداً، وقال فيها:

قد قلت لما ضمنوك الثري ... وجالت الحسرة في صدري
اذهب فلا والله لا سرني ... بعدك شيء آخر الدهر

***

وقال «العباس بن الأحنف»:

يا من تباشرت القبور بموتها ... قصد الزمان مساءتي فرماك
أبغي الأنيس فلا أري لي مؤنساً ... إلا التردد حيث كنت أراك
ملك بكاك وطال بعدك حزنه ... لو يستطيع بملكه لفداك
يحمي الفؤاد عن النساء حفيظة ... كيلا يحل حمي الفؤاد سواك

(١) راجع: ترجمتها في أعلام النساء (٥/ ١٧٥).

(٢) راجع: ترجمتها في أعلام النساء (٥/ ٢٧١).

فأعطاه «الرشيد» أربعين ألفاً قال: لو زدت لزدناك . وكانت وفاتها سنة ثلاث وسبعين ومائة .

***

(٤٧)

هند

جارية أبي محمد بن مسلمة الشاطبي الكاتب

قال «البدر النابلسي» في كتاب «التذييل»، و«ابن مكتوم» في «تذكرته»:

يا هند هل لك في زيارة فتـيـة ... نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا ... نغمات عودك في الثقيل الأول

فكتبت إليه على ظهر الرقعة:

يا سيداً حاز العلا عن سادة ... شم الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك أنني ... كنت الجواب مع الرسول المقبل

***

قال «علي بن الجهم»: إني لعند «المتوكل» يوماً «والفتح بن خاقان» حاضر إذ قيل فلان نخاس، فأذن له، فدخل ومعه وصيفة، فقال له «المتوكل» ما صناعة هذه ؟

قال: تقرأ بالألحان .

فقال «الفتح»: اقرئي لنا خمسة آيات فاندفعت تقول:

قد جاء نصر الله والفتح ... وشق عنا الظلمة الصبح
خدين ملك ورجي دولة ... وهمه الإشفاق والنصح
وكل باب للندي مغلق ... فإنما مفتاحه الفتح

فأمر «المتوكل» بشرائها . وكانت أحظى جواري «الفتح» .

تم بحمد الله

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢